Coptology

الأب متى المسكين

منهج البحث والرؤيا الآبائية

لواقع الكنيسة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٠٧ – ٢٠٢٢

www.coptology.org

تقديم

هذه مقالاتٌ ثلاثة كتبها الدكتور جورج بباوي في الذكري الأولى لنياحة الأب متى المسكين، أب رهبان دير القديس أنبا مقار عام ٢٠٠٧ بعنوان "الأب متى المسكين، منهج البحث والرؤيا الآبائية لواقع الكنيسة" ويبدو أنه كان ينوي الاستمرار في الكتابة، إلَّا أنه لم تصلنا إلَّا هذه المقالات الثلاثة. وجريًا على ما اتخذناه من قرار نشر تراث الدكتور جورج حتى ولو لم تكن المادة مكتملة، رأينا أن نضعها تحت بصر القارئ وبين يديه بحالتها لتعم الفائدة.

أسرة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية

(١)

كـان اللقـاء في سنة ١٩٧٠ قبـل الترشيح لمنصب البطريـرك هامًـا وضـروريًا فقد بدأت رؤية ما سوف يحدث تظهر بوضوح شديد.

كان كتاب العنصرة قد أحدث "صدمة"، وقبل ذلك "الكنيسة الخالدة" ثم "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته"[١].

دار الحديث حول ثلاث نقاط هامة لا تزال هي محور ما حدث وما يحدث وما سوف يحدث في الكنيسة القبطية.

أولًا: العـودة إلى مـنهج آباء الإسـكندرية؛ وهـو قـراءة الكتـاب المقـدس باللغات الأصلية؛ العبرانية للعهد القديم – واليونانية للعهد الجديد. قال الأب متى إنه أرسل واحدًا من الاخوة، ربما أبونا أرميا المقاري، ليقابل حاخام مصر لكي يراجع معه صحة كتابة ومعاني كلمة "عنصرة". وقال إن هذا طريقٌ صعب لم نسلكه من قبل منذ أن رقد البابا كيرلس عامود الدين، ومؤسِّس هذا المنهج هو العلامة أوريجينوس.

وعندما سألته عن الصدام مع الذين يعتقدون بأن ترجمة فان ديك موحى بها من الروح القدس، فسوف يجدون في تغيير بعض الكلمات مناسبة للهجوم. قال الأب متى المسكين لا بُد من اختراق حاجز الجهل، وسوف نقدم للقارئ نص فان

---

(١) صدرت الطبعة الأولى بعد تجريد الأب متى المسكين من الكهنوت، ومن الرهبنة التي لا يوجد قانون كنسي يعطي أي إنسان حق تجريد ناسك من حياته النسكية!!!

ديك، وسوف نعتمد على شرح المعاني المختلفة لكي يتحرر القارئ من سيطرة اللغة العربية التي لا تقدِّم إلَّا القليل. وقد فعل ذلك في شرح أسفار العهد الجديد لكي لا يصطدم القارئ المكبل بسلاسل الثقافة غير المسيحية.

ما أغرب ما حدث؛ لا زالت الأكاذيب بأنه حذف نهاية أصحاح ١٦ من إنجيل مرقس تتردد على بعض الألسنة، مع شتائم لا تليق بأي إنسان مسيحي .. هذا هو ثمن اختراق حاجز الجهل.

كانت هذه الرؤيا تزداد يقينًا مع مرور الأعوام ومع فقر المكتبة القبطية الأرثوذكسية من كتب تستحق القراءة تقدِّم للقارئ جواهر الوحي الإلهي.

ثانيًا: المسيح هو محور ومركز كل شيء. قال الأب متى المسكين إن التعليم الكنسي برمته يجب أن يشمل على تحذيرات أربعة لكل مَن يُعلِّم ولكل من يسمع:

التحذير الأول: هو أن الايمان بالمسيح "استعلان" يقدمه الروح القدس لكل مؤمن وأن القراءة والدراسة ليست إلَّا تمهيدًا. وقال عبارةً خالدةً: "**المسيح موش فكرة، المسيح شخص، والشخص لا يُعرف إلَّا من العلاقة الشخصية**".

كان منهج الأربعينيات يعتمد على حشد معلومات، ولكن هذه تخدم أسلوب العصر الوسيط الذي حوَّل المسيح إلى نظام System وابتسم وهو يقول: لقد وجد في مذكرات "اللاهوت النظري" التي كانت تُدرَّس في الكلية الإكليريكية البرهان على ما يقول؛ لأن اللاهوت ليس نظامًا، ولا هو مادة عقلية فلسفية، بل استعلان.

التحذير الثاني: الايمان بالمسيح هو حسب عبارته المشهورة "**تلامُس مع الرب**". هو لقاء عبَّر عنه بشكل وافٍ في كتابه "**لقد وجدنا يسوع – دعوة تعارف**". ثم استمر التشديد على هذا في كل ما كتب، ويمكن حصر الكثير تحت

الكلمة الأولى "**استعلان**" والكلمة الثانية "**تلامُس**". و"التلامُس" عند الأب متى المسكين هو لقاءٌ مع الرب والمخلِّص ينقل فيه المسيح قدرته وعمله إلى النفس لكي تؤمن ولكي تقبل الرب ولكي يصبح المسيح فوق كل شيء.

التحذير الثالث: الايمان بالمسيح حقيقة كيانية تُعاش لأن الايمان هو تحوُّل في كيان الانسان. وأبدى أسفه من خوف بعض الأقباط من كلمة "**تجديد**" لأن "**التجديد**" هو فعل دائم للروح القدس الذي يقدِّم النفس، بل والجسد للمسيح.

التحذير الرابع: المسيح هو مفتاح كل الأسفار، والايمان بالمسيح يسبق دراسة الأسفار ويلازم هذه الدراسة وينقل هذه الدراسة إلى التلامُس والاستعلان والتجديد.

حلَّ صمتٌ توقَّف فيه الأب متى المسكين عن الكلام، وامتد بصري إلى الواقع والمستقبل، وقلت له: لقد قررت أن تسلك الطريق الضيق لأن ما ذكرته الآن هو ضد ما هو سائد حتى في مناهج الكلية الإكليريكية. فقال: "يجب أن تتذكر دائمًا أن الرب يسوع هو الذي قال "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر"، وهو "ملك المستقبل". الرب يسوع المسيح بيده المستقبل ولا بُد من أن نستعيد تراثنا كله مهما كانت التضحية".

عندما عُدتُ إلى الحديث عن الروح القدس الأقنوم والمواهب، سَكَتَ برهةً ثم قال: "هل فكَّر أحدٌ من الذين ينشرون هذا التعليم أنه يفتقر إلى الأساس التاريخي؟ لقد حلَّ الروح القدس يوم العنصرة ولم تحل المواهب، لأن المواهب هي استعلان حضور الروح القدس في الكنيسة وفي حياة المؤمنين، وهي دليلٌ على وجود الروح القدس في قلوب المؤمنين وليس غيابه". وأضاف: "هل نفهم من هذا أن

الكنيسة بلا إله وأنها منظَّمة أو هيئة أو جمعية خيرية، كيف يمكن أن يفارق الروح القدس جسد المسيح الكنيسة، وماذا تكون الكنيسة بدون الروح القدس؟ ما الذي يجمع الفرقاء والأضداد من البشر إن لم تكن محبة الله التي يسكبها الروح القدس في القلوب. هل محبة الله صارت هي أيضًا من مواهب الروح القدس؟ أم هي الله نفسه لأن الله محبة"؟ (كتبت هذه العبارات كما هي في المفكرة). عجيب أن يظل الموضوع معلقًا لفترة دامت أكثر من ربع قرن!!!

وعندما تقابلنا على الساحل الشمالي عام ١٩٨٨ كان الحديث حزينًا ومؤلمًا.

قال الأب متى المسكين: "يقول الرسول بولس لا يقدر أحدٌ أن يقول إن يسوع رب إلَّا بالروح القدس، بل وعَدَنَا الربُّ نفسه بأن روح الآب هو الذي يعلِّمنا الشهادة ويرشدنا إلى الحق. هل هذا هو عمل الروح القدس نفسه أم عمل مواهبه؟ كيف ترك الرب يسوع هذا الأمر معلقًا، وهو لم يذكر شيئًا عن المواهب، بل عن الباراكليت؟ الكنيسة بدون الروح القدس ليست كنيسة بالمرة. ليس فيها الله. ليس فيها الثالوث، لأن الروح القدس هو الوسيط الذي يعطينا الشركة، هو الذي به يسكن فينا الابن وفي الابن الآب، إليه نأتي وعنده نصنع منزلًا".

انحدرت الدموع من عينيه وصَمَتَ ثم قال: "إن ما يحدث الآن يختلف عما ذكره النبي أشعياء في ٢٩: ١٠-١٢ لقد رفض البعض روح الحق فحلَّ عليهم "روحُ سُبات أغمض عيونهم". مَن يرفض روح الحق يقع في أحد الخطايا، مَن يرفض روح التقديس الأبدي يقع في نجاسات اللسان والقلب ويفقد عفة الفكر. التقديس هو عملٌ أبدي يبدأ معنا لكي يكمُل في الدهر الآتي، وإذا لم نشترك في قداسة الله فماذا

تبقى لنا؟".

ثم قال: "إن واحدًا من خدام الإسكندرية (لم يذكر اسمه) كان على صلةٍ به، ولكن وقع هذا الأخ تحت ضغط الدعاية والأكاذيب ورُسِمَ كاهنًا ثم أفاق لأنه أحس بحاجته إلى قوة روح الله، وجاء إلى الأب متى المسكين لكي يسأل: ما هي حقيقة الشركة في الطبيعة الإلهية؟ وقال الأب متى المسكين: "لقد أردت أن أمتحن إيمانه لأنني أحبه وسألته: هل رب المجد في السماء يسوع المسيح يأكل ويشرب وينام ويحتاج إلى ملابس؟ فقال الأب الكاهن: لا. وسأله الأب متى المسكين: هل يحتاج رب المجد إلى هواء وماء ونور ... الخ؟ فأجاب الأب الكاهن: لا. وسأله الأب متى المسكين: هل أنت تشترك في ذبيحة الإفخارستيا التي ليس فيها قوة القيامة ولا عمل الروح القدس؟ ثم قال الأب متى المسكين: فرغ صبر هذا الكاهن وقال لي: ما هو الغرض من كل هذه الأسئلة؟ فأجاب الأب متى المسكين: ليس لي غرضٌ معين وإنما أريد أن أعرف عمق تلامُسك مع الرب نفسه، لأن الاعتراض على الشركة في الطبيعة الإلهية هو اعتراضٌ على تألُّه ناسوت الرب يسوع، وطبيعة الخلود والحياة الأبدية، هو إنكارٌ صريحٌ للتجسد والصلب والقيامة لأن جسد الرب يسوع المسيح الذي توزِّعه على المؤمنين هو جسد الرب المولود من العذراء، والذي صُلب، والذي قام حيًّا. هو جسدٌ حيٌّ ومحيي، وهذه ليست صفات أي جسد يأكل ويشرب وينام ...الخ.

وعندما سألته: كيف انتهى الحديث مع الأب الكاهن، قال: "لقد تراجع عن إنكار تألُّه ناسوت الرب يسوع، ولكنه أنكر لعدة دقائق تألُّه الإنسان إلى أن قلت له: لقد سقطت في تعليم مصر الفرعونية لأن الإنسان بعد القيامة لا يأكل ولا

يشرب ولا ينام ولا يتزوج، بل كما قال الرب يكون مثل ملائكة الله وهؤلاء ليست لهم طبيعة (بيولوجية) جسدانية ..".

ما هو سر الصراع الذي امتد لأكثر من ربع قرن على موضوع الروح القدس؟

عندما سالت هذا السؤال، ابتسم الأب متى المسكين وقال لي: "أنت تعرف إجابة سؤالك، لماذا لا تجيب أنت على سؤالك وأنا أضيف أو أصحح إجابتك".

قلت له لديَّ عدة أسباب موجزة:

١- عدم رغبة القيادة في الاعتراف بالأخطاء، لأن هذا يهز مكانةً لا تستند إلى التعليم الصحيح بل إلى الزعامة.

٢- الإبقاء على الصراع لكي يُستغل هذا الصراع في تفتيت الكنيسة إلى أحزاب وتستقل القيادة الكنسية بحزبٍ خاصٍّ بها.

٣- عدم معرفة التعليم الآبائي لنقص المراجع.

وعلَّق الأب متى المسكين على السبب الثالث. كان شديد الحساسية لا يقبل أي هجوم على القيادة الكنسية ولا يرضى بأي نقد مهما كانت صحته. ولذلك توقَّف عند السبب الثالث وقال: "هذا هو قلب الموضوع"، ولكن الجهل بتعليم الآباء ومحاربته يأتي في وقت تشتد فيه سواعد الحركات المتأسلمة. وما عاصرناه من قتل وحرق .. الخ يأتي متزامنًا مع إنكار سُكنى الروح القدس فينا. هل هذه مصادفة بحتة؟ قال الأب متى المسكين: "بكل تأكيد لا، إنها ضرباتٌ يجب أن

تدفعنا إلى القوة التي تحيي الإنسان وتبقي على الكنيسة في العالم. وعندما كنت أحيا في العالم كان عيد العنصرة يأتي، وكان الأتقياء يهرعون في مساء الأحد لصلاة السجدة وتوزيع العنب والشمام والبطيخ، كنت أبحث عن كتاب واحد عن الروح القدس وعمله في النفس فلم أجد. بحثت طويلًا ولم أعثر إلَّا على مقالات دفاعية عن أُلوهية الروح القدس في كتاب الأب ميخائيل مينا وغيره. ولذلك قررت أن أسير ولو لوحدي، ولكنني وجدت معونةً في الكتب الأرثوذكسية التي صدرت في أكثر من مكان، ومنها عرفت كيف أسير على هدى ما وصلنا وما لدينا من كتابات الآباء. ما يكتبه اللاهوتيون هو أشبه بالبوصلة التي تحدد الاتجاه، وعلينا أن كنا نقتني موهبة التمييز، وهي أعلى مواهب الروح القدس، أن نفحص وندقق وأن نطلب من روح الحق أن يكشف لنا عما أعلنه الروح ووضعه في قلوب هؤلاء، وهم كثرة في الشرق والغرب".

عندما ذكر "الغرب" قاطعته، وسألته: لماذا يستعين ببعض الكتب الغربية؟

فقال لي: "هل هذا سؤالك أنت"؟

فقلت: لا.

فقال: أنا أعلم الأسباب الحقيقية وراء هذا السؤال، وأهم هذه الأسباب هو أننا أغلقنا الباب على الله نفسه في داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ولا نريد أن نرى أو نسمع كيف يعمل الله في كنائس العالم، وفي أشخاص يكشف لهم روح الحق عن الحق الخاص بالرب يسوع. في كل مكان في العالم تجد الشهود الأمناء للمسيح، وهم من كل الكنائس التي نعرفها .. علينا أن نسمع ونقرأ وندقق ونميِّز، ولذلك لم أستعِن بأي كتاب غربي لا يتفق مع التعليم الأرثوذكسي المسلَّم لنا من الآباء. الذين

يزرعون الخوف من الغرب في قلوب شعبنا قد ركبوا موجة المتأسلمين وهم معهم في ذات الصف الواحد. إنني حزين جدًا لأنني أرى أربع مسائل هي بمثابة تحول خطير جدًا في حياة الكنيسة القبطية اليوم:

الأولى: حلَّت الطقوس محل الإيمان نفسه. يكفي أن تتمسك بالطقس لكي تنال صفة الأرثوذكسية.

الثانية: حلَّت الممارسات الخارجية مثل الاستحمام وعدم غسل الفم .. الخ محل نقاوة القلب والضمير، لا سيما من العداوة والكراهية. لقد قال الرب صراحةً: "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم".

الثالثة: أخذ الكهنة مكان المسيح نفسه ولم يعد المسيح هو المخلِّص المستعلَن في صلوات وطقوس وحياة الكنيسة، وأصبح الخضوع للكاهن أهم من الخضوع للمسيح نفسه، ولذلك نحن نسير نحو تفتت أكثر مما بقى لنا من وحدة روحية.

الرابعة: مع اشتداد الحرب ضد الروح القدس حلَّت الأعمال محل النعمة ولم يعد الخلاص بالإيمان مقبولًا. الايمان هو مصدر القداسة، لأن الايمان هو الذي يدلنا على روح القداسة.

توقف الأب متى المسكين عن الحديث، وقال: يوجد سببٌ خاص، لم يحن الوقت بعد لكي نضعه في دفاتر التاريخ المعاصر الذي لا زالت أحداث ربع قرن تُشكل ما يحدث الآن.

وعدتُ الأب متى المسكين بأن لا أكتب إلَّا بعد نياحته، وقال: "على العموم إذا أنت سبقتني معدش فيه مشكلة، الأقباط لا يرغبون في دراسة التاريخ

وتحليل ما يحدث وما يطفو على سطح الحياة الكنسية".

يتبع

جورج حبيب بباوي – ٥ يونيو ٢٠٠٧

(٢)

يمكـن اختصـار مـنهج الأب مـتى المسـكين في عبارتـه المشـهورة في كتـاب الكنيسة الخالدة أن "الشجرة كامنة في البذرة" وأن البذرة تنمو حتى تصبح شجرة. هكذا رأى العلاقة بين بذرة الكنيسة في العهد القديم حتى صارت شجرة التدبير في العهد الجديد.

"عمـل الله ينمـو دائمًـا، لأن النمـو مـن علامـات حضـور ملكـوت الله في العالم". والبذرة والشجرة ليست فقط امتداد عمل الله واستعلانه في العهدين، بل هو أيضًـا عمـل الله في يسـوع المسيح في الخليقـة الجديـدة. جـاء في كتـاب "الخليقـة الجديدة" مثلٌ آخر، جوهرة في تاج الحياة الكنسية الأرثوذكسية لكي يشرح منهج "التدبير"، وهو نمو الخليقة الجديدة في داخلنا نحن، وأيضًا مثل بذرة تنمو أو حسب قول الرب يسوع نفسه "خميرة" أو "حبة الحنطة" التي لا بُد أن تموت لكي تحيا.

تغلغل الصليب في أعماق الأب متى المسكين ورسم حدودًا واضحةً لقلمه، فلم يهاجم ولم يدافع، حقًا لزم الصمت، ولكنه كان يؤمن بأن البذرة لا بُد وأن تكبر لأنها من الله.

هنا يظهر التعارض الشديد بين منهج "التدبير" والمنهج العقلاني المتمسك بقيود الجسد.

أين ومتى تكونت الكنيسة؟

سؤالٌ طرحه الصراع الذي دار قرابة ٢٥ عامًا، دون إجابة شافية لكي يُحاط الأب متى المسكين بسحابة الشك، ولكي يُدمَّر عمله الذي أعطاه وجوده كله

وحياته.

هل هي كنيسة المهد؟

أم الجلجثة؟

أم العنصرة؟

أم .... أم؟

طرح الأسئلة الأنبا شنودة، وكعادته لم يُقِّدم إجابة عليها سوى أنه اشتكى وشتم القارئ غير الفطن أمام الحيرة، وكأن الأب متى المسكين هو الذي زرع هذه الحيرة!!

لكن في حديثٍ عام ١٩٨٨ سألني الأب متى المسكين عن رأيي في أهم ما كتب، فقلت له على الفور دون تردد: العنصرة – الكنيسة الخالدة – مع المسيح في آلامه وموته وقيامته – الخليقة الجديدة. وقلت له بالحرف الواحد: "لقد ذُبحت من أجل الكتاب الأخير"، أي الخليقة الجديدة. وتنهَّد وطلب جهاز تسجيل لكي يسجِّل الحديث. ماذا حدث في هذا اللقاء؟ لقد أدرك الناسك الشيخ أن المعضلة الكبرى التي رآها في رؤيا محددة في كتاب "الكنيسة الخالدة" سوف تستغرق حياته وفكره كله. فقد أدرك منذ بداية رحلته أنه "**بدون المسيح لا وجود للمسيحية**" وأن "**المسيح هو المسيحية**"، لكن هذه العبارة القصيرة جدًا لا تكفي أن تقدم المنهج نفسه، الجوانب الأساسية للمنهج الإلهي نفسه:

أولًا: الكنيسة امتدادٌ لتجسد ابن الله، لأن اجتماع اللاهوت بالناسوت، أي التجسد هو الأساس الإلهي للكنيسة. لكن هذه البذرة لا بُد وأن تنمو من بيت لحم "مسقط رأس البشرية المفتداة"، وليست مجرد "مسقط رأس البشرية"،

وكيف تنمو؟ حسب الاستعلانات التي أُعلنت في حياة الرب يسوع؛ المعمودية — التجارب في البرية — علية صهيون — غسل الأرجل — العشاء السري — الصليب — الدفن — القيامة — الصعود — المجيء الثاني، هذه هي مراحل نمو البذرة. وهكذا جاء كتاب "الأصول الآبائية الأرثوذكسية لكتابات الأب متى المسكين الأول والثاني" يشرح هذا المنهج حسب الآباء دون أن يجيب على الاعتراضات والشكوك.

والكنيسة امتدادٌ للتجسد هو تعبير القديس هيلاري اسقف بواتييه[١] وقال الأب متى المسكين عام ١٩٨٨ إنه درس كتابات الأب القديس هيلاري وهو راهب في دير السريان ثم في دير الأنبا صموئيل. ولكنه وهو يشارك هيلاري ذات الرؤيا، كان يعتقد أننا لا يجب أن نكتفي بأن نُعيد ما يقوله الآباء، بل أن نملك ذات الرؤيا وأن نفتِّش على ما يمكن أن يُضاف إليها لأننا إذا قلَّدنا الآباء فقط صرنا مثل العبد الذي دفن الوزنة ولم يتاجر بها. وهكذا شرح الأب متى المسكين "لماذا اتحد اللاهوت بالناسوت؟ وما هي غاية هذا الاتحاد؟ وهل هو اتحادٌ قاصرٌ على ابن الله؟ هل ابن الله هو المستفيد من هذا الاتحاد؟ كيف يمكن أن ينطق إنسانٌ بهذا التعليم؟ ليس فقط لأن ابن الله كاملٌ ولا يحتاج، بل لأن "قَصَر" الاتحاد عليه هو وحده هو تحديدٌ للمحبة الإلهية بأنها من الله وعائدة عليه، لا تلمس حياة البشر. عجيبٌ حقًّا أن يأتي ابن الله ويتجسَّد من أجل منفعته، ومن أجل ذاته، وكأنه هو المحتاج للخلاص!

عندما قلتُ إن بيت لحم هي مسقط رأس البشرية المفتداة، قالوا: إنني أقول

---

(١) نرجو من القارئ الذي يرغب في المعرفة أن يحاول الحصول على هذه الدراسة الكاملة عند الآباء E. Mersch. The Whole Christ نُشر عام ١٩٦٢ وظهر أيضاً بالفرنسية.

بأن "المؤمنين يولدون من العذراء القديسة مريم". وابتسم، ولكنها كانت ابتسامة ألم. أنا مندهش لماذا وُلد الرب مثلنا، أليس لكي يضع لنا أساسًا لميلاد جديد؟ وقاطعته وقلت له: إن المشكلة هي تقاطع "منهج التدبير" مع منهج عقلاني لا يعرف التدبير، ولا يؤمن حتى بالتجسد نفسه. ولم يُعلِّق، فقد أدرك أن هذا اتهامٌ، و"الاتهام غير جائز في غياب الشخص الذي يُقال عنه هذا الكلام". ولكن الغضب تحرك في قلبي وقلت له: إنني أراقب هذا الصراع لأنني أُدرك أن الصدام بين منهج الآباء ولاهوت العصر الوسيط سوف يترك دمارًا ويحطم نفوسًا كثيرةً.

لست أدري ما هي المشكلة في عبارة الرسول "أننا من لحمه وعظامه" (أف ٥: ٣٠)؟ وقلت: كانت هذه العبارة الرسولية التي وردت عدة مرات في كل كتبك مثل إشارة تحدد الاتجاه. نحن من لحم وعظام آدم الأول، فما هي المشكلة أن نصبح من لحم وعظام آدم الثاني أو الأخير الرب من السماء؟ فقال الأب متى المسكين: "إننا عندما نقف عند المذبح نلمس ونأخذ، بل نتحد بجسد آدم آدم الأخير الكائن أمامنا، والذي يفدي آدم الأول الذي فينا". فقلت له: آه، هذه هي "الصوفية" أو "المستيكية" التي يريد المنهج الطبيعي لآدم الأول أن يقلعها، لأن المنهج الآدمي الأول من ذات آدم إلى ذات آدم الانغلاقي، حسبما ذكرت، بينما منهج آدم الثاني هو منهج الشركة الذي فيه العطاء لأن العطاء هو البذل والبذل هو الفداء.

عدنا إلى بيت لحم — الجلجثة — العنصرة.

"في بيت لحم ولدنا لأن المسيح هو الوسيط هو الرأس الجديد الذي منه تولد كل أعضاء الجسد (كولوسي ٢: ١٩)، وعندما يُولَد الرأس تُولَد الأعضاء من الرأس".

كيف يمكن لإنسان أن يتصور أننا ولدنا من العذراء مريم؟

إنه مرةً ثانيةً منهج التدبير، منهج الروح في صراع مع "منهج الجسد الذي لا مكان له في الملكوت".

قال الأب متى المسكين: "أنا مندهش، عندما قال الرسول بولس إن ملكوت الله ليس أكلًا وشربًا. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رومية ١٤: ١٧)، ألا يكفي حرف الجر "في" لكي يؤكد لنا أنه ليس برٌ وسلامٌ وفرحٌ آتٍ من مصدر خارجي، بل من الروح القدس؟ خطية آدم كانت تحتوي على أشياء كثيرة، ولكن أحد هذه الأشياء هي البحث عن مصدر خارجي يعطي له وجودًا آخر غير الوجود الذي من الله، أي "صورة الله"، وهي ليست عطية خارجية حسيَّة تأخذ كيانها من مصدر خارجي، بل من الله، لذلك، في "التجديد" أكَّد الرب يسوع أن الروح القدس "يصير فينا ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٤). لقد فقدنا الإحساس والرؤيا بأن ما قام به الرب من أعمال خلاصية كانت في الحقيقة الأعمال التأسيسية للخلاص، ولذلك حرَّكني الله نفسه لكي أُعيد البعد الروحي في أكثر من مقال عن أعياد الظهور الإلهي لأن أعمال الرب يسوع مثل ظهورات الله في العهد القديم، كل ظهور كان يعطي ويقدِّم الجديد لكي يكمل البناء".

قاطعته وقلت له: لقد عدت إلى البذرة والشجرة.

فقال: نعم.

<u>ثانيًا</u>: النمو حسب قامة المسيح.

"ما هي قامة المسيح التي قدَّمها لنا الرسول بولس؟ هي ذلك النمو الدائم

نحو الاستعلان الكامل الذي بدأ في بيت لحم والذي كَمُل وصار قامةً كاملةً بالقيامة والصعود. أنها "درجات" صعدها الرب يسوع نفسه ووحده. نحن لا نستطيع أن نقدِّم شيئًا لتدبير الخلاص، ليس فقط بسبب عجزنا، بل بسببٍ أعظم، وهو صلاح الله. هكذا بدأ الاتحاد كاملًا في بيت لحم، ولكنه كان يفك كل أعمال آدم الأول؛ الخطية والعصيان، ثم الموت. انتصر الرب في البرية لكي يحفظ لنا هذا الانتصار. نحن فيه لسنا مهزومين، ليس في يسوع المسيح "هزيمة" أو "إنكار"، وعندما نقول ذلك، يسألنا البعض: وماذا عن الجهاد؟ حسنًا، هل نجاهد من نقطة الضعف أم من الانتصار؟ هل أسير في موكب يسوع المنتصر، أم في موكب يسوع الذي هزمته الخطية؟ هذا لا يمنع عن آلام الدهر الحاضر ولا حتى مسامير الصليب ولا الموت نفسه، ولكن ما أعظم الفرق بين أن نتألم من أجل مجد المسيح، ولكي نتمجد معه، وبين أن نتألم لأننا مهزومين ولأنه هو نفسه لم ينتصر. الجهاد الحقيقي أو القانوني كما يقول بولس هو جهادٌ نحو غاية نسعى إليها، وهي المسيح الغالب. أما الجهاد المزيف فهو أن نكون منغلقين على أنفسنا وينمو فينا الكبرياء تحت صورة أخرى لا نكاد نراها بدقة، وهي الأنانية. في بداية حياتي الرهبانية سألتُ المسيحَ أن يعطي لحقارتي قانونًا. وكتبت الكلمات التي سمعتها من الرب: "أنا كمسيحي، ليس لي حقوق ولكن عليَّ واجبات". لقد انقذتني هذه الكلمات من الكبرياء الخفية، ولكن هذا لا يكفي، لأنني يجب أن أبلغ إلى ملء قامة المسيح، وهي أن أنمو كما نما هو، لقد نما عندما هزم الموت وأباد الدينونة، ونما عندما قام، ليس لأنه زادَ، بل لأن قامته صارت هي القامة الوحيدة الإنسانية الحية الخالدة التي غلبت كل شيء والتي تقف في وسط الكنيسة تدعونا لأن نسرع ونعانق الرب وأن نتوسل إليه أن يعطي لنا

النعمة لكي ننمو ونصبح مثله أحياء لله (رو ١: ٧) أمواتًا عن الخطية، ذبائحَ روحية حية.

ثالثًا: قامة المسيح من المعمودية إلى الجلجثة:

كانت الأعياد تأتي كمناسبات اجتماعية ضاع معناها اللاهوتي، ولم تكن "استعلانات" إلهية تجمع الله بالشعب لكي تجدد حياة الكنيسة. أعاد إلينا الأب متى المسكين البُعد اللاهوتي الضائع الذي تعبِّر عنه الليتورجية والآباء، ولكن لعل القارئ لاحظ أن البُعد الكنسي كامنٌ في مقالات "أعياد الظهور الإلهي"، لأن شرح الأب متى ليس عن العيد كمناسبة تقوية، بل كإعلانٍ عن الله".

في ذات اللقاء عام ١٩٨٨ كان من الضروري أن أسأل عن غياب موضوع الكنيسة من مؤلفات الذين كتبوا منذ القرن الثالث عشر، بل ومن المحاضرات التي كانت تصلنا من القاهرة ومن الإسكندرية والتي كنت تُلقى على طلبة الإكليريكية. وكان من الضروري أن نناقش المنهج، أي منهج الليتورجية الذي ينقل الكنيسة وليس الأفراد فقط، من ميلاد الرب الأزلي من الآب إلى ميلاده في الزمان من العذراء، ثم مراحل "التدبير" التي تصل إلى كمالها في عيد العنصرة وليس فقط في القيامة.

وقلت للأب متى المسكين: متى بدأت الكنيسة؟

فقال: "الكنيسة هي جسد المسيح وجسد المسيح وُلِدَ كطفلٍ من العذراء ونما "في النعمة والقامة" (لوقا ٢: ٥٢). هذا الجسد نفسه الذي مُسح بالروح القدس، وهو ذاته الذي صُلب على الصليب، وهو ذاته الذي قُدِّم في العلية، وهو ذاته الذي قام وصعد، وهو ذاته المستعلَن لنا بالروح القدس. عندما يعتمد ويُمسح

بالروح القدس هو نفسه واحدٌ مع جسده، وعندما يُصلب ويقوم من الأموات إنه هو ذات الجسد. ولذلك، الكنيسة وُلِدَت بميلاده ومُسحت بمسحته وصُلبت بصلبه وقامت بقيامته ونالت قوة الروح القدس في العنصرة. أنها وُلِدَت لكي تعبُر مخاض "الخلاص" من بيت لحم إلى القيامة، ولذلك هي جسد المسيح الذي تكوَّن بالروح القدس في رحم والدة الإله، وهي ذات الجسد الذي عَبَر كل "مخاض الخلاص".

وسألتُ: ربما مشكلة هذا الشرح اللاهوتي هي أنه: **أولًا** لم يكتُب أحدٌ عن هذا الموضوع قبلك. **وثانيًا** لم يكن لدينا الحس الروحي بأننا جسد المسيح: "وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا" (١كو ١٢: ٢٧)، ليس لدينا الوعي بأننا جماعة الرب وشعب الله، ليس بالانتماء الاجتماعي الذي كرزتَ ضده، بل بالانتماء إلى المسيح.

قال الأب متى المسكين: "هذا صحيح تاريخيًا ولكن الذي يواظب على حضور القداسات والتناول يدرك من الصلوات أنه عضوٌ في ذلك الجسد".

سألت الأب متى المسكين إذ كان قد تعرَّض لما ساد في الغرب في العصر الوسيط عن الأجساد الثلاثة: جسدٌ من العذراء، جسدٌ في الإفخارستيا، جسدٌ هو الكنيسة، لأنني أشرت إلى هذا في عجالة في مقالة "لوثر والعشاء الرباني".

فقال: إنه لم يقرأ المقال. ولكن جاء تعليق الأب متى المسكين موجزًا: "لقد ذكر العهد الجديد جسدًا واحدًا مولودًا من العذراء، يُعطى في العشاء السري وهو ذاته الكنيسة".

تمر الأيام لكي يمارس الأنبا شنودة هوايته المفضلة وهي "التدليس" واختراع التهم. حاول أن تقرأ على مهل هذه العبارات في كتابه اللاهوت المقارن ٣.

ماذا تعني عبارة "جسد المسيح"؟

عبارة "جسد المسيح" لها ثلاث استخدامات:

١- تعني أولًا جسد المسيح الذي وُلد من العذراء مريم .. وجلس عن يمين الآب.

٢- وتعني جسد المسيح بمعنى الكنيسة كما ورد في (أفسس ٥) فهي جسده وهو الرأس (١كو ١: ١٤ و١٨).

٣- والمعنى الثالث يستخدم في سر الإفخارستيا .. (٢٦: ١٦).

غير أن البعض يجمع بين هذه الاستخدامات الثلاثة في معنى واحد .. ص ٢٧.

هل شَرَحَ العلاقة بين ما يصفه "هذه الاستخدامات الثلاثة" .... أبدًا.

ولاحِظ الخلط بين أدق ما جاء في التعليم:

"فإن كان ناسوته هو الكنيسة أي جماعة المؤمنين. يكون لاهوته في اتحاده بالكنيسة قد اتحد بكل جماعة المؤمنين وصار كل فرد من المؤمنين هو ناسوت متحد بلاهوت مثل المسيح!!" ص ١٠

هذه مأساة:

١- المسيح له المجد ليس ناسوتًا متحدًا بلاهوت، بل الإله المتجسد. وعندما أقول إن الأنبا شنودة لا يؤمن بالتجسد يثور الأتباع والدهماء.

٢- إذا لم تكن الكنيسة هي ناسوت الرب أو جسده، فلماذا قيل إنها جسده، وهو ليس تعليم الأب متى المسكين. ولاحظ "التدليس":

"نحن الذين لم نكن موجودين أثناء ميلاد السيد المسيح .." ص ١٠.

هذا صحيح، ولكن الحق الذي يُراد به الباطل هو أبشع ما يُقال لأن الكائن في بيت لحم في رحم العذراء هو "الكلمة المتجسد" الذي أقنومه مُتَّحدٌ بطبيعة كل البشر، بكل جسد بشري.

ولاحِظ أسلوب الشيخ متولي الشعراوي

"كيف ولدت الكنية اذن في يوم ميلاده؟ هل ولدت بغير ايمان .. الخ.

وإن كانت العذراء هي المؤمنة وقت ميلاد المسيح (لو ١: ٤٥) وتمثل الكنيسة، فهل وُلِدت العذراء من بطن العذراء؟".

يكتب بهذا الأسلوب الشعراوي لا لكي يخدع القارئ فقط، ويوهم القارئ بأن ما جاء في كتابات الأب متى المسكين هو "غير معقول" وضد العقل، بل لكي "يدحض" أحد جوانب الإيمان الأساسية؛ وهي أن ما يحدث على المستوى الروحي من ولادة ونمو لا يمت بصلةٍ إلى ما يحدث على المستوى الجسداني (البيولوجي)، بل أن الجسد هو الذي يدخل -حسب تعبير الأب متى المسكين- مجال عمل الروح القدس لكي يتمجد.

ولاحِظ أيها القارئ أن الأنبا شنودة يسترسل في ما لذ له من اعتراضات شعراوية ولا يجيب على السؤال.

الافتراض الأول:

إذا كانت الكنيسة جسد المسيح حسب العهد الجديد، متى وُلِد هذا الجسد؟

آه، إن الأجساد الثلاثة تعجز عن الإجابة على هذا السؤال. لكن الجسد الواحد أي ناسوت الرب يقول:

- وُلِدتُ من الروح القدس ومن العذراء مريم، لكي يُولَد كل مؤمن من الروح القدس ومن الماء.

- هذا لا يتم في العقل، بل في الكنيسة لأن أمر الرب بالمعمودية هو

للكنيسة.

– هكذا صارت العذراء مثالًا للكنيسة، أي أنها تلد بالروح القدس لا ولادة جسدانية بل ولادة روحية.

عبثًا نقدم ما جاء عند الآباء، لأن الأنبا شنودة لا يؤمن بما جاء في كتابات الآباء.

وردًا على الاعتراض الشعراوي: يقول الرسول "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا (مخاض الولادة) إلى أن يتصور المسيح في قلوبكم" (غلا ٤: ١٩).

طبعًا آمن بولس قبل الذين آمنوا في غلاطية .. هل وَلَدَ بولس، بولس؟

حرامٌ أن يكتب إنسانٌ يجلس على كرسي مار مرقس هذا الكلام، لكي ينال من أبيه الروحي، بدلًا من أن ينشر الإيمان.

ولاحظ أيها القارئ؛ الخداع .. ينقل الكلام من جسد المسيح إلى الناسوت وطبعًا لا فرق في الحقيقة .. لكن لاحظ سياق الكلام ونوع الاعتراضات:

> "نحن الذين لم نكن موجودين أثناء ميلاد المسيح. هل اتحد بنا اللاهوت –كأعضاء في الكنيسة؟! كيف؟ أو متى؟" ص ١٠.

لماذا لا نقول عن الذين في المعمودية؛ نولد من الرأس أي المسيح "فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب .. وغير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط .. ينمو نموًا من الله" (كولوسي ٢: ١٦-١٩).

هل ولدنا من مصدر آخر غير الله؟

حسب الجسد، نعم من الوالدين، لكن هل نولد من الله لكي نكون أولاد الملكوت؟ حسب المسيحية، نعم من الله نفسه من الآب بالابن في الروح القدس.

يتبع

(٣)

الحرب على الروح القدس

ظل موضوع الروح القدس يشغل مكانًا في حياتي الشخصية ودراستي، ولذلك ترجمتُ كتاب القديس باسيليوس عن الروح القدس، الذي صدر بمقدمة للأنبا يوأنس أسقف الغربية (المتنيح). لم يتوقف البحث عند إصدار الكتاب، فكان من الضروري أن أعود إلى الرجل الذي "زعزع" تل العصر الوسيط القائم بالكنيسة القبطية، أي "الأب متى المسكين، فكان لنا أكثر من حديث في أعوام ١٩٧٠ – ١٩٧٧ – ١٩٨٠ – ١٩٨٢ – ١٩٨٨ ووجدت أن كتابة هذه الأحاديث ضرورية، بل ومراجعة ما قيل بكل الدقة المطلوبة، لأن ما قيل هو بكل يقين مفتاح ضروري يفتح لنا بابًا لما أُخفيَ عنا من حقائق روحية ولاهوتية.

لماذا الحرب على الروح القدس؟

قال الأب متى المسكين: "منذ أن اختبأ آدم في الفردوس، والإنسان دائم الهرب من الله. يهرب ثم يخلق الأعذار لهروبه. عندما دُعي البعض إلى الوليمة، قدَّم كلُّ واحدٍ عذرًا يبدو مقبولًا لكي لا يحضر، ولكن كل عذر لا سيما ذلك الذي قال إنه يريد أن يرى ويختبر بقراته .. هو عذرٌ للهرب. قال المخلص على الصليب "إلهي إلهي لماذا تركتني" معبِّرًا عن شعور دفين في كل إنسان هرب من الله، وعندما وجد نفسه في محنةٍ حاول أن يعود إليه. هكذا أراد المسيح له المجد أن نفهم، أننا نحن الذين كنا نقول فيه ومعه "لماذا تركتني"، كما في كلمات المزمور (مز ٢٢: ١).

إذا قلنا للناس إن الروح القدس هو الله وأن الله يسكن فيهم، لتغيَّرت أمور كثيرة في حياتنا بل وفي مسيرة الكنيسة نفسها، لأن الإنسان الذي يحس أن الله فيه لا يمكن أن يظلم أو يستبد برأيه أو يكسر وصية المحبة. أما الإنسان الهارب من الله فهو مستعد أن يفعل ما يشاء وكأن الدنيا كلها ملكه، ثم يخلق الأعذار التي تبدو منطقية للهرب من الله ومن المحبة. لا يمكن للإنسان أن يحب الله أو الآخرين بدون الروح القدس.

وتوقف عن الكلام وصمت .. فسألته ولكن كيف أصبح هذا "الهروب" من الله رفضًا للعطية بل مقاومةً شعوريةً وعلنيةً تأخذ شكل تعليم لاهوتي؟

وابتسم الأب متى المسكين في ألمٍ وقال: "هل تريد أن تسمع مِن على كل منبر في كل الكنيسة أن الله ساكن فينا وأننا هيكل الله الحي؟".

فقلت: نعم.

فقال: يا ريت .. هذا ما نحتاج اليه.

وسألت: إذن لماذا نرفض؟

فقال: هل سمعت أثناء دراستك في الكلية الإكليريكية شيئًا عن عمل الروح القدس في القلب؟

فقلت له: لا، وقد سبق وقلنا إن هذا عائد إلى لاهوت العصر الوسيط.

فأجاب وقال: أيها الباحث الماهر، الأسباب التاريخية مهمة، ولكن توجد أسباب أخرى لها علاقة بمنهج الأشخاص. عندما أقول للبعض إن الروح القدس أرشدني، يرشم البعض علامة الصليب وكأنه سمع شيئًا من الشيطان، أو كأنني هرطقت. الصلة الشخصية بالروح القدس معدومة، وما لدينا هو علاقات اجتماعية

تأخذ شكلًا كنسيًا، تراه في جمع الاتباع، وخلق التكتلات والجماعات التي ترى أن لها قائدًا واحدًا. كيف يمكن أن نسمع صوت الروح القدس في قلوبنا وقد تحوَّلنا إلى أحزاب لها قيادات غير قيادة الآب والابن والروح القدس.

أنا لا أريد أن أتحدث عن أشخاصٍ في موقع القيادة ولكن مطلوب منك أن تقدم لي "كشفًا" بالموضوعات التي يعظون بها ويعلِّمونها للناس، وما يُنشَر منه يصلني وأقرأه في ألمٍ وحسرة. الهروب من الله له مظهر كنسي واضح، وهو الانشغال بأمور تافهة وحقيرة. ثم تعليم الناس عن أمورٍ لا تجعلهم "يتلامسون" مع الله بأن تُباعِد بينهم وبين المسيح. لماذا كثرت القوانين الخاصة بالتناول في كنائسنا اليوم؟ الكنيسة التي تريد أن تضبط حياة شعبها بالفرائض والقوانين، هي كنيسة تضع الفرائض قبل نعمة الله، وتجعل من الإنسان عبدًا لا ابنًا للآب السماوي. وتريد أن تُبقي على شعبٍ من العبيد خاضعٍ لما يُقال، ولما هو بعيد كل البعد عن المسيح. **لا توجد فريضة يمكن أن تقربنا من المسيح، بل الإيمان العامل بالمحبة هو وحده الذي يقربنا منه.**

ما هي خطورة الناموس على حياة الإنسان؟

وصَمَتَ برهةً ثم قال: الناموس يسجن الإنسان في ذاته. هل أنا أخطأت عندما قلت ذلك؟ الناموس يجعل فكر الإنسان محصورًا في ذاته. أما النعمة فهي تكشف الخطايا التي فينا من خلال الشركة. لماذا مُنعت كلمة "الشركة"؟ إنني مندهش، لأن الله شاركنا كل ما لنا ما عدا الخطية، لاحِظ أنه أخذ كل ما لنا، العواطف والتعب والألم والدموع والجوع ثم الموت. لذلك فالشركة لا يمكن أن تكون

خطأً أو اعتداءً عليه، إذ أن الله نفسه أراد أن يسكن فينا. ولكن المشكلة هي في هروب الإنسان، لأن سُكنى المسيح تعني قداسة ومحبة وتحرر من الخطية وخدمة وشهادة وبذل وعطاء.

ثم سألني هل صارت الصورة واضحة أمامك؟

قلت: نعم ولكن يبقى سؤال، هل لدينا إحساس بأننا نهرب من الله؟

فقال: أبدًا لدينا إحساسٌ مزيَّفٌ بأننا على صواب وحق.

قلت: كيف؟

قال: لابد من تغطية إنكار سُكنى الله فينا، هذا الإنكار يبدأ بالكلام الكثير عن الخطية. أنت بالحقيقة خاطئ، لكن حسب الإنجيل أنت محتاج إلى أن يكون الله فيك. أما أن تقول إنني خاطئ، فلا مجال بالمرة لأن يكون الله فيك، فهذه هي "بطانية" تغطي عورة الإنسان، ذلك الإنسان الذي لا يريد أن يرمي بذاته وكيانه كله في أحضان الله. ثم هناك سببٌ آخر أُقدِّمه لك في ايجاز؛ يجب أن يصبح الله صعب وبعيد عنّا تمامًا، لأن اقتراب الله منّا وحلوله فينا يُلزمنا بمحبة الأعداء. وأمَّا حشد الأتباع وخلق الأحزاب فهو لا يتفق مع حلول الله فينا. مَن يحس ويؤمن بأن الثالوث يسكن فيه، يحيا حياةً تختلف تمامًا عما هو مألوف على المستوى الاجتماعي. أمَّا عندما نضع "تداريب" ونوظِّف "فرائض" ونخلق "قواعد" لكي تقربنا من الله، فهذا ضد الإنجيل، أي ضد البشارة المفرحة للخطاة. الله جاء إلينا، إذ أرسل ابنه الوحيد بسبب محبته الفائقة (يوحنا ٣: ١٦)، لكننا لا نريد أن يسمع الناس هذه الحقيقة البسيطة الفائقة، لأنها لو قُبِلَت لصارت مركز ومحور حياة كل إنسان، وتغيَّرت الكنيسة وأصبحت القيادة خدمة، وتحوَّلت السلطة إلى بذل، وصار

الحقُ شركةً، وأصبح الكبيرُ خادمًا (مرقس ١٠: ٤٣). وهذا يقلب الأوضاع السائدة، ولذلك يلزم "طرد" الروح القدس من حياتنا، بل من الكنيسة. إننا أمام صراع ضد الله نفسه، فالإنسان بدون الروح القدس ميت، ومَن ليس له روح يسوع ليس له يسوع نفسه (رومية ٨: ٩). ولكن كيف يملك الإنسانُ الربَّ الذي يريد أن يملكه ويحوِّله إلى غصنٍ في الكرمة أو عضوٍ في جسده، هذه كلها كلمات تشير إلى الملكية، يسوع جاء الينا لكي يجعلنا "خاصته" و"ميراثه". كانت الأرض هي ميراث إسرائيل، أمَّا الآن فقد صار الإنسان هو ميراثَ الرب، الذي غيَّر ذلك هو تجسُّد ابن الله. أعتقد أن الهروب من روح الله عائدٌ أيضًا إلى عدم الإيمان بتجسد الابن ربنا يسوع المسيح.

قاطعته: يا ابونا ده كلام صعب.

قال: نعم، أنا أعرف أنه صعبٌ، ولكن أرجو أن تفسِّر لي هذه المعضلة؛ لا يمكن لأي إنسان –مهما كانت معرفته– أن يقول إن يسوع ربٌّ بدون الروح القدس (١كو ١٢: ٣)، ولا يمكن لأي إنسان أن يحب الله بدون نعمة الله. نحن نقول "الله عرفوه بالعقل"، وأنا على يقين بأن هذه العبارة خطأ، لأن الله فوق أدراك الإنسان، قد يدرك الإنسان قوة الله وسلطانه وحكمته عندما يتأمل الخليقة، ولكن معرفة الله نفسه غير ممكنة بدون المسيح، وبدون الإعلان الذي أعلنه لنا. لو كنّا نقدر على معرفة الله بعقولنا لَمَا وُجِد الأنبياء، وتاريخ الوثنية نفسه يؤكد أن الإنسان عجز عن معرفة خالقه، ولذلك كان روح الأنبياء يعمل لاستنارة البشرية. صدقني أننا أمام طريقين لا ثالث لهما:

الأول: الخليقة القديمة أو الأولى التي تموت في آدم.

الثاني: الخليقة الجديدة التي كُوِّنت وتحيا ولا توجد إلَّا في المسيح.

يعاتبني بعض المقربين ويقولون لي إن ما أكتبه هو فوق الإدراك والفهم، ربما، ولكن اللاهوت الصحيح هو الذي يؤكِّد أنه خارج المسيح لا وجودَ حقيقيًّا بالمرة لأي شيء صالح أو حي أو خالد أو مجيد أو مقدس أو جديد. لقد جاء يسوع لكي يؤسس خليقةً، وأنا أفضِّل كلمة "خليقة" جديدة فيه هو، وُلِدَتْ فيه، ونَمَتْ فيه، وتحيا فيه، وقد عَبَرَت حاجز أو مانع الموت في الصليب، وقامت حيَّةً إلى الأبد ورُفعت إلى السماء. هذا ليس يسوع وحده، بل أنت وأنا وكل المؤمنين بيسوع. فإما أن نكون "في المسيح"، أو في "آدم الأول"، ولا يوجد لدينا اختيار آخر.

عمل الروح القدس في القلب والمعطلات في التعليم السائد:

في لقاء عام ١٩٨٨ وهو آخر لقاء، كان الناسك الكبير لديه أربع قناعات كبرى لا يمكن لأي إنسان أن يزحزحه عنها:

القناعة الأولى: إن اغفال التعليم عن عمل الروح القدس في الأفراد والكنيسة الذي عاشه هذا الجيل، والذي لا زال منتشرًا في أيامنا (أي عام ١٩٨٨) وبعدها، هو تعليم "مجوف" له شكل أنبوبة "ماسورة" المياه ولكنه لا ماء فيه. تستطيع أن تقرأ الكثير عن أُلوهية الروح القدس، وعلى مستوى جيد، لكننا نقرأ ولا نسمع شيئًا عن عمل الروح القدس في القلب. وعندما أُثير هذا الموضوع نظر إليَّ بعض المعلِّمين نظرةً غاضبةً، وقال لي واحدٌ منهم شخصيًا: "أنت مين علشان تسأل هذا السؤال"، وأضاف: "ده موضوع كبير".

كان الأب متى المسكين مقتنعًا بأن عدم ذِكر عمل الروح القدس في قلوب

المؤمنين يعود إلى جهل المعلِّمين أنفسهم وعدم اختبارهم لهذا الموضوع بالذات.

القناعة الثانية: إن الاتجاه السائد والذي لا زال معنا، لا يريد لأي مسيحي أن يكون له صلة مباشرة بالمسيح، بل لا بُد وأن تمر كل علاقة بين المسيحي والمسيح "بأب الاعتراف"، هذا حسن جدًا إذا كانت له الخبرة، وكان هو نفسه قادرًا على تمييز عمل الروح القدس في القلب. ولكن عندما تُغلق العثرة على المعترف وأب الاعتراف، فلا يدخل نور المسيح ومعرفة الله، ولا استعلان الله، فإن المعترف لن يكون إلَّا صورةً من أب اعترافه. وسوف يقف نمو المعترف عند الحد الذي وصل إليه أب الاعتراف نفسه. ومناقشة هذه النقطة بالذات لها حساسية خاصة ولا داع لشرحها.

القناعة الثالثة: هي انفصال التعليم النظري عن الخبرة النسكية المستيكية، وعندما يصبح أي مسيحي قادرًا على أن يتكلم لساعات أو أيام عن أُلوهية الروح القدس من الكتاب المقدس أو من الآباء دون أن يقدِّم خبرةً معاشةً شخصيةً، فإن التعليم النظري يصبح تعليمًا عامًا لا يلمس واقع الحياة الشخصية.

[ولعلنا نرى اليوم أن كل الاعتراضات التي ظهرت في مقالات اللاهوت المقارن للأنبا شنودة مثل: "هل تسجد الكنيسة لنفسها؟"، و"إذا كانت هي جسد المسيح، فهل تأكل نفسها؟ .."، هي اعتراضاتٌ تعبِّر عن عدم وجود خبرة روحية تجعل كاتب هذه الاعتراضات لا يميز درجات الاتحاد بالمسيح على الأساس الخرستولوجي، لأنه حتى في المسيح نفسه، لم يحدث ذوبان للناسوت في اللاهوت. وأننا عندما نصبح نحن جسد المسيح، فالمسيح أيضًا لا يأكل جسده لعدة أسباب، أهمها أن الأكل ليس "افتراسًا" ولا هو "ابتلاع"، بل "اتحادٌ" يقوم على التمييز

والتمايز لأننا "أعضاء جسده من لحمه وعظامه"، والرب هو الذي "يقوت ويربي جسده"، حسب تعبير الرسول في (أفسس ٥: ٢٩-٣٠). لأننا نتحول إليه وإلى مجده وقوته وخلوده، فهو ليس طعامًا جسدانيًا. والتعليم بتجسُّد الرب حسب الأرثوذكسية يجعل المسيح هو "الرأس" ونحن "الأعضاء"، ولذلك فحياة الرب تنسكب فينا لكي نحيا لا لكي نأكل بعضنا البعض. فقد جاء الاعتراض من واقع عدم نمو معرفة صاحب الاعتراض، رغم سنوات الوحدة والرهبنة، لأن الانشغال بالأمور السياسية وغيرها ... الخ لم تفتح مجال الخبرة المستيكية].

ملاحظة هامة: لم يذكر الأب متى المسكين الأنبا شنودة ولا مرةً واحدة. كان يرفض أن يسمع أو يشتكي أو يحكم على إنسانٍ ما. وما ذكرته هنا هو ملاحظتي الشخصية.

القناعة الرابعة: التفاسير السطحية لأسفار الكتاب المقدس.

وحتى صدور المجلدات التي شرح فيها الأب متى المسكين معظم أسفار العهد الجديد، لم يكن لدينا سوى مجموعات من التفاسير من كنيسة الأخوة، المطبعة الأمريكانية ببيروت، "وليم باركلي" الذي صدر من دار الثقافة في القاهرة. وكانت قناعة الأب متى المسكين بأن انعدام دراسة الكتاب المقدس قطعت الصلة بين التعليم السائد وبين الوحي المقدس نفسه. ولعل أحد الأخطاء السائدة وهي لا تزال معنا أن يفرض المفسر أو الشارح رأيه حتى على كلمة الله نفسها.

كيف نلاحظ عمل الروح القدس في القلب؟

قال الأب متى المسكين إنه عندما ذكر أن مَن يعرف عمق ودقة الحق المعلن

في الأسفار المقدسة هو على ذات مستوى إلهام ومعرفة الرسل قامت الدنيا.

وقلت له: نعم لأن الفكر المتأسلم يرى في الأنبياء وفي الرسل مستوى من المعرفة لن نصل نحن إليه.

وعلَّق على هذا وقال: أنا مندهش، في قانون الإيمان نقول: "نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي ... الناطق في الأنبياء"، وهو ذات الروح القدس الذي فينا حسب وعد الرب لنا (يوحنا ١٤: ١٧)، فهو مُرسلٌ لكي "يعلِّمنا كل شيء" (يوحنا ١٤: ١٦)، بل "يرشدنا إلى جميع الحق" (يوحنا ١٦: ١٣). لقد أعلن الآباء إيمان الرسل في المجامع واختاروا كلماتٍ ومصطلحات لم ترد في الكتاب المقدس، ولكنها كانت بإرشاد وبإلهام الروح القدس. فهل توقَّف عمل الروح القدس فينا؟

أقول، لكي تستمر كنيسة الرسل، لا بُد من بقاء الحق الرسولي معلنًا لنا وناميًا فينا. ولكن عندما نقول إننا نأخذ مواهب الروح القدس دون الروح القدس نفسه، فإننا بكل يقين نقطع العلاقة والشركة مع روح الحق.

قال الأب متى المسكين: "إن التمييز الصحيح والتمسك بالحق وإلحاح الروح القدس على الإنسان لكي لا يهرب من الشهادة هو أول ما نلاحظه في حياتنا اليومية، وفي علاقتنا مع الآخرين. ثم عندما نقف أمام الله ونحس روحيًا بأننا عراة وأنه لا يوجد لدينا شيءٌ خفي وأن كل جروح الروح وقذارة الفكر هي أمام الله .. لا يمكن أن يحدث هذا إلَّا بسبب عمل الروح القدس".

وأضاف: "وأحيانًا يُذكِّرنا الروح القدس بكلمات من الكتاب المقدس أو صلاة أو ترتيلة تنخس القلب والضمير وتحرك الإنسان نحو الله ونحو محبته. هذه إحدى علامات عمل الروح القدس في حياة المبتدئين. واكتشاف معاني كلمات الله

في الكتاب المقدس، فجأة دون مقدمات ودون تحليل هي أيضًا عمل الروح القدس في القلب، وهي نعمة الاستنارة".

وأضاف أيضًا: "الروح يعزّي الساقط ويضع أمامه الرجاء الحي ويؤكد له غفران الله ويثبّت توبة الإنسان رغم ضغط وتأنيب الضمير. الروح القدس لا يقطع رجاء الإنسان بل يحيي الرجاء. الشيطان هو الذي يقطع رجاء الإنسان ويزرع فيه اليأس و"صغر القلب".

"لا يزرع الروح القدس الخوف في قلب الإنسان، أي خوف العبيد، بل يضع "مخافة الرب"، أي مهابته والإحساس بعظمته التي تخلِّص كل خاطئ، وذلك يزرع المحبة في قلب كل انسان".

"تستطيع أن تميِّز صوت الروح القدس فهو عندما ينتهر إنما ينتهر برحمة، وليس الانتهار المصحوب بالتسلط الذي يكشف عن ضعفٍ في النفس، وربما مرض يحتاج إلى علاج، أما الانتهار الذي يقود برفق، فهو عمل الله".

"عندما يؤنِّب الروح القدس الضميرَ، فهو لا يحطِّم ولا يقتل ولا يضع الخاطئ أمام الدينونة وحدها، بل يقدم له الدينونة مع محبة الله. كل تأنيب يخلو من المحبة ليس من الروح القدس، وربما يرجع إلى الذاكرة وإلى خبرات قديمة، وإلى الشعور بالذنب، وهو ليس من الاتضاع بالمرة. لأن الاتضاع هو إحساسٌ عميق بمحبة الله وصلاحه يجعل الإنسان يشعر بأنه لا شيء. أمَّا إذا حاول الإنسان بدون استعلان صلاح الله ومحبته أن يقول أنا خاطئ، فإن رد الفعل عند هؤلاء الذين يقولون إنهم خطاة تراه في أنهم أكثر الناس تسلطًا".

"الروح القدس يتكلم فينا ولا يقدِّم لنا أيَّ معرفةٍ ليست في الأسفار حتى لا

نضع أنفسنا فوق الوحي المقدس".

يتبع

د. جورج حبيب بباوي